المقاومة، وتحديات المواجهة

م. محمد إلهامي [23 / 05/ 2021م]

أحب لكل حركة مقاومة أن تتحلّى بعقل رشيد ولسان فصيح منضبط متزن.

ولأن هذا أمر صعبٌ في نفسه، وهو أكثر صعوبة وعسرا عند الاستضعاف والحصار وقلة النصير.

فإني أحب لكل من يؤيد المقاومة أن يفهم:

ـ معنى الإعذار.

ـ ومعنى الإكراه.

ـ ومعنى الضرورة.

وأنفر وأحزن من كل مثالي يحب أن يموت مُرسي في سجنه .. على أن يحيا متمكنا، وفي تاريخه تصريحات سيئة ومواقف مشينة (من وجهة نظره)!

ومن وجد في تاريخ المقاومة الإسلامية في العصر الحديث (عصر الاستضعاف).. حركة لم تضطر أن تتحالف مع عدوّ عدوها، فليخبر بها.. فإن هذا لم يكن!!

وأكثر من يوصَفون بالنقاء العقدي والمنهجي، حين نزلوا إلى معترك الواقع، تعاونوا مضطرين مع أعدائهم المؤجّلين ضد العدو الأخطر العاجل! ويجب التفريق.. بين حركة تحقّق إنجازا وصعودا، وبين حركة لا تحقق شيئا أو تتراجع وتنزوي.. فالأولى يُطال في الإعذار لها ويوسع في حسن الظن بها، وأما الثانية.. فلا.

ومن الخطير المدمّر لكل فكرة مقاومة ولكل حركة مقاومة أن تخضع للخطوط الحمراء التي يضعها لها جمهور عاطفي متحمّس، ففي هذا هلاكها المحتم!!

ولئن عاشت الحركة قوية عزيزة بين جمهور بعضه يشتط عليها ويسبّها، خير لها من أن تحيا في سجون عدوّها وعلى مشانِقه حتى لو كان الجمهور سيتحسّر عليها ويبكي أيّامها!

مع أن التجربة تقول بأن الحركة المهزومة لن تجد جمهورا يتحسّر عليها ويبكي أيامها، بل الجمهور سيشرب رواية المنتصر ويتناقل عيوب الحركة المهزومة.

ومع كل ما سبق فلا بد من أن يقال أيضا: إن الجمهور ـ مهما كان عاطفيا ومتحمّسا ـ فإنه درع وركن وراء الحركة يجب أن تحسن سياسته، وألا تصدمه بما لا يفهم، فإنها بهذا تحمّله ما لا يطيق.. وهذا الجمهور هو عدّتها الذي تحتمي به أمام حُلفائها وأعدائها ..فلا تسرف في التنازلات!

ولا بد أن يُقال أيضا:

بأن الهجوم على الأخطاء ـ وإن تجاوز الحد أحيانا ـ مفيد جدا في لجم المواقف الشاذة والاندفاعات التي تصدر من حركة المقاومة، ولولا هؤلاء لصار الشذوذ والاندفاع هو الأصل والحكمة.. فأن يوجد جمهور يضايق حركة المقاومة ويلجمها ويجبرها على ضبط مواقفها وتصريحاتها .. خير لها ولهم من قادة لا يُسألون عما يفعلون!!

***

ثم لا بد من كلمة يجب أن يعقلها العقلاء، ولن يفهمها العاطفيون والسذّج، ومن لا خبرة لهم بالناس والحياة..

إن الإنسان ابن بيئته وابن تجربته، وهو أسير الإحسان مهما كان.. ولن يكون ابن مصر كابن العراق كابن سوريا مهما حصل.. بل لن يكون ابن غزّة كابن الضفّة كابن الداخل كابن الشتات مهما حصل! والذي رأى من الإيرانيين وجها حسنا ودعما ثمينا في حال انعدام النصير .. فلابد أنه سيتأثر بهم وحتما.. مهما نفى هو أو مهما نفى أصحابه.. تلك طبيعة البشر التي لا ينفلتون منها!!

وعلم الله أني كنت أقول منذ سنين طويلة: لا بد أن يتشيّع بعض القادة في حماس "سياسيا" أو حتى "مَذهبيا"، مهما كانوا قلّة.. ولا بد أن ينتمي بعض كتائب القسام لداعش في سيناء، مهما كانوا قلّة.. ولو استمر الإخوان في الحكم لَتَعَلْمَن بعض قادتهم مهما قلّوا.. تلك طبيعة البشر التي لن تتغير!

وكان قولي هذا يُقابَل بالسخرية، أو الغضب، ولم تكن سخريتهم ولا غضبهم يزعجني. ولو أن المصريين أبدوا وجها وطنيا وحبكوا تمثيل الدور الوطني المصري العروبي، كالذي كان يتدثّر به عمر سليمان وفريقه في ماضي الأيام.. لرأيت بعض أولئك معجبين بالنظام المصري ومتأثّرين بروايته!

ومع هذا، فإنني وفي ظل تعقّد الحياة وتعقّد الأحوال وتعقّد المواقف، أتمنى تماما أن يحكم الإخوان مصر.. مع يقيني بأن بعضهم سَيَتَعَلْمَن، وأتمنى تماما أن تحكم حماس غزّة والضفّة ويكون للقدس سيف طويل ..ولو تشيَّع بعض قادتهم. هذا كلام من نوعية الكلام التي لا تكاد تعجب أحدا.. فهو يُهَيِّج الجميع.. لو كنت أبغي به غير وجه الله لكتمتُ بعضه، أسأل الله ـ وهو المطلع على نيتي ـ أن يجعله في ميزان حسناتي أو يغفره لي.

بقي أمر لطيف، رأيته يتردّد على مواقع التواصل الاجتماعي عند أصحابنا المثاليين، يقولون:

"ونحن ـ الثوار السوريين ـ نشكر نتنياهو لأنه قصَف قوّات الأسد ومخازن سلاحه وقصف قوات حزب الله، بل وعالج الإسرائيليون بعض الثوار السوريين المصابين في المستشفيات الإسرائيلية!"

يظن أصحابنا بهذا أنهم يحرجون حركة المقاومة المضطرة لشكر إيران.. وما يحرجون إلا أنفسهم .. وما يشعرون! فهل سمعت ـ يا أيها المثالي ـ أحدا أنكر على من أصيبوا فعولجوا هناك واستشنع فعلته، وطالبه أن يموت من الإصابة ولا أن تمتد يد يهودي لتعالجه؟!

هل تبرأتَ أنتَ ـ يا أيها المثالي ـ ممن عولجوا هناك، باعتبارهم قد خانوا الثورة وعولجوا عند عدو الأمة؟

هل نشرت تخوفاتك من أن يكون هؤلاء قد تهوّدوا دينيا أو جرى استقطابهم كعملاء لإسرائيل حين كان يقدّم لهم العلاج؟!

هل رأيتَ أحدا من جمهور المقاومة كان حزينا، أو تحوّل إلى دعم بشار، لأن إسرائيل قصفت قوات الأسد أو مخازنه أو قوات حزب الله التي تقتل الشعب السوري؟!

بل أقول، والله لو أن إسرائيل ألقت إليكم سلاحا لتقاتلوا به فقاتلتُم ..ما كنت لألومكم.. وكيف ألوم أحدا يتعرّض للقتل ثم يلقى إليه ما قد ينقذه ويدفع به الذبح عن نفسه فيتورّع عنه ويرفضه؟!!

هوّن على نفسك يا أيها المثالي.. هوّن على نفسك، واعلم أن للجميع جراحات، وستبقى جراحاتنا مختلفة ما دمنا لسنا دولة واحدة، وستبقى أولوياتنا مختلفة ما دمنا لسنا دولة واحدة، وستبقى حساباتنا ومصالحنا ومفاسدنا مختلفة ما دمنا لسنا دولة واحدة.. هذه حقيقة واقعية، يجب أن نفهمها حتى ونحن نكافح لإنهائها والتغلُّب عليها.

أعرف أنّي سأتلقّى سيلا من الشتائم.. لن يهمّني.. إنما كتبت هذا الكلام لمن يعقله حتى ولو خالفني فيه.. ويكفي أنني أردت ـ أحسبني ـ به وجه الله، ومصلحة الأمة، وترشيد عقل العاملين لها.

***